مقدمة

تعد الأسلوبية من أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة في العصر الحديث. والراصد لتيارات النقد العربي واتجاهات البحث اللغوي يلحظ أن هذا المجال ما يزال في بداياته المبكرة في نطاق الدراسات العربية.

والأسلوبية هي أحد مجالات نقد الأدب اعتمادًا على بنيته اللغوية دون ما عداها من مؤثرات اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو غير ذلك .. أي أن الأسلوبية تعني دراسة النص، ووصف طريقة الصياغة والتعبير.

والأسلوبية وعلم الأسلوب مصطلحان مترادفان، وقد آثر البحث أن يستخدم أولهما، لأن هناك من يزعم أن الأسلوبية ليست علمًا.

وثمة تعريفات ثلاثة لمصطح (أسلوب):

التعريف الأول:

ويتم من منظور المنشيء، ويقوم على أساس أن الأسلوب يعبر تعبيرًا كاملًا عن شخصية صاحبه، ويعكس أفكاره ويظهر صفاته الإنسانية.

أما التعريف الثاني:

وهو ينبع من زاوية النص، فيعتمد على فكرة الثنائية اللغوية التي تقسم النظام اللغوي إلى مستويين: مستوى اللغة ويقصد به بنية اللغة الأساسية، ومستوى الكلام، ويعني اللغة في حالة التعامل الفعلي بها.

وينقسم المستوى الثاني إلى قسمين آخرين:

أولهما: الاستخدام العادي للغة.

وثانيهما: الاستخدام الأدبي لها.

هذا المستوى الثاني هو مجال البحث الأسلوبي باعتبار أن الفرق بين الاستخدام العادي للغة والاستخدام الأدبي لها يكمن في أن هناك انحرافًا في المستوى الثاني عن النمط العادي. والانحراف. هنا – يعني الخروج على ما هو مألوف في الاستعمال اللغوي مما يشكل – في النهاية – ما يسمى بالخاصية الأسلوبية.

وأما التعريف الثالث:

فهو يتحدد من جهة المتلقي، وأساس هذا التعريف أن دور المتلقي في عملية الإبلاغ مهم إلى الحد الذي يراعي فيه المخاطِب حالة مخاطبه النفسية ومستواه الثقافي والاجتماعي. كما يؤثر في هذا الخطاب عُمْرُ المخاطَب وجنسُه، وعلى المنشيء أن يثير ذهن المتلقى حتى يحدث تفاعلًا بينه وبين النص، واستجابة المتلقي ورفضه هما المحك في الحكم على مدى حدوث هذا التفاعل.

واختيار شعر البارودي (١٨٣٩ - ١٩٠٤)، لدراسة قضاياه التركيبية يرجع إلى أمرين:

الأمر الأول:

يتمثل في أن البارودي يعد - بحق - رائد النهضة الشعرية وباعثها بعد عصور من التخلف والانحطاط، فهو الذي رد للشعر مكانته العظيمة ومنزلته السامية بعد أن أصبح وسيلة للتكسب والارتزاق، وليس ثمة شك في أن مدرسة الإحياء التي تزعمها البارودي "قد قامت بالدور الأول ومثلت البدء الضروري والصحيح لأية نهضة أدبية تالية في أي من الأقطار العربية"(١).

والأمر الآخر:

أن الباحث قد سبق له التعامل مع شعر البارودي، وذلك في رسالته عن "الجملة الشرطية في شعر محمود سامي البارودي" التي نال بها درجة الماجستير، فأتاح له ذلك الاطلاع، على نحو ما، على شعر البارودي والوقوف على بعض سماته.

ويحاول هذا البحث دراسة القضايا التركيبية في أسلوب البارودي من حيث الأنواع والسمات والخصائص، كما يحاول وصف بنية العربية في شعره تطبيقا على إنتاجه الشعري، مما يتيح لنا الوقوف على الثوابت والمتغيرات في هذه اللغة وعلى خصائصها المميزة، كما يمكننا ذلك من معالجة النص بمعايير منضبطة، حيث يبرز بوضوح أهمية المعيار الموضوعي لترشيد الأحكام النقدية.

---

(١) د. طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف (١٩٨٢م)، ص ٢٠١.

وهذه الدراسة لا تُعنى بتحديد القضية ودراستها فحسب، بل إنها -وهذا هو اتجاهها الأساسي- تهتم بتوضيح مدى شيوع الظاهرة الأسلوبية أو ندرتها مستخدمة في ذلك المنهج الإحصائي.

ويقوم هذا البحث على ثلاث ركائز أساسية:

- **الأولى**: الوصف.
- **الثانية**: التحليل.
- **الثالثة**: استخلاص النتائج.

وهذا البحث يتناول أبرز القضايا التركيبية في شعر البارودي مستخدما في ذلك المصطلحات البلاغية والنحوية، باعتبارها وسائل إجرائية لدراسة الظواهر الأسلوبية، حيث إن العلاقة بين الأسلوبية وكل من البلاغة والنحو وثيقة ومؤكدة.

وتقع هذه الدراسة في سبعة فصول:

الفصل الأول: "الأسلوب والأسلوبية":

ويتناول تحديد مفهوم الأسلوب من زواياه الثلاثة: المخاطِب والخطاب والمخاطَب...، والبحث عن أصول الأسلوبية في التراث من المنظورين: النحوي والبلاغي، كما يدرس هذا الفصل العلاقة بين الأسلوبية وكل من البلاغة والنقد الأدبي.

ويتعرض هذا الفصل أيضا للأسلوبية في إطار الدراسات اللغوية والنقدية المعاصرة من حيث المفهوم والاتجاهات والمجالات والوظيفة. ويبحث أيضا المدخل إلى الدراسة الأسلوبية وأهمية البحث الأسلوبي.

الفصل الثاني: "التحليل الأسلوبي":

وفيه عرض لأهمية هذا التحليل وكيفيته ومحاذيره. ثم عرض لبعض الدراسات الأسلوبية المعاصرة في مجال التحليل الأسلوبي.

الفصل الثالث: "التناوب":

ويقصد به إحلال لفظ محل لفظ آخر، أو أداة محل غيرها، أو حرف محل ما يناظره، وينقسم إلى تناوب في الأفعال، وتناوب في الأسماء وآخر في المصادر، ورابع في الحروف.

الفصل الرابع: "الحذف":

وفيه تحليل لمواضع حذف المسند إليه في الجملة الاسمية، وحذف المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية، وحذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول المطلق، وحذفهما لوجود قرينة على حذفهما، وحذفهما في التراكيب الشائعة.

ويتعرض الفصل أيضا للحذف في التركيب الشرطي، ثم لحذف النعت والمنعوت والمستغاث به، والمستغاث لأجله، والمعطوف عليه.

الفصل الخامس: "الاعتراض":

ويُقصد به اعتراضُ كلام بين عنصرين متلازمين. وفيه دراسة لظواهر الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية، وبين عناصر الجملة الاسمية بركنيها المبتدأ والخبر والجملة الاسمية المنسوخة بإنَّ أو إحدى أخواتها، ثم الاعتراض بين النعت المنعوت، وأخيرًا الاعتراض في التركيب الشرطي.

الفصل السادس: "التقديم والتأخير":

ويدرس السمات العامة للتقديم والتأخير، مثل تقديم المفعول به، والحال، والمفعول لأجله، والمفعول به والمفعول لأجله معا، والمفعول به والتمييز معًا، والمفعول به والجار المجرور معًا، والمفعول به والحال والجار المجرور في آن واحد. ثم يتعرض الفصل للسمات الخاصة، مثل: تأخير الفاعل ووقوعه مَقْطعا للبيت، وتأخيره ووقوعه بين المفعول الأول والمفعول الثاني، وأخيرا يتعرض الفصل للتقديم والتأخير في التركيب الشرطي.

الفصل السابع: "الالتفات":

وهو الانتقال من أسلوب إلى آخر أو من ضمير إلى غيره مع اتحاد المرجع. ويبحث الالتفات عن ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، وعن ضمير المخاطَب إلى ضمير الغائب، وعن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، ثم الالتفات عن ضمير الغائب إلى ضمير المخاطَب، كما يتطرق الفصل إلى ظاهرة الإخبار عن المؤنث بالمذكر، وظاهرة التحول عن المذكر إلى المؤنث وعكسها.

وتعتمد هذه الدراسة – من حيث المادة اللغوية – على مصدر واحد فقط هو ديوان البارودي بأجزائه الأربعة ط دار المعارف، حقق الجزأين الأول والثاني علي الجارم ومحمد شفيق معروف، وحقق الجزأين الثالث والرابع محمد شفيق معروف.

وأخيرا فهذه محاولة للتأصيل النظري والتطبيق العملي في مجال البحث الأسلوبي، ولا نزعم أننا قد بلغنا بها الغاية وحققنا المراد، وحسبنا أن تكون هذه الدراسة خطوة في مجالها قد تضاف إلى ما سبقها وما سيلحقها من خطوات.

فتح الله سليمان

* * * *

هذه الطبعة الجديدة

ظهرت أولى طبعات هذا الكتاب عام ألف وتسعمائة وتسعين، وكانت الاستجابة الطيبة لهذا العمل في أوساط الباحثين وطالبي العلم، وما أحدثه من أثر إيجابي –فيما نرى– في ساحة البحث العلمي، الدافع الأكبر لإعادة إصدار طبعات أخرى منه.

ومنذ خروج هذا الكتاب إلى عالم الثقافة والمعرفة وبداخلي تطلُّع شديد ورغبة عظيمة في إعداد طبعة جديدة له، مُعالجًا ما به من سلبيات، ومُصوِّبا ما به من أخطاء، ومُضيفا إليه ما أرى أنه يستحق الإضافة.

وكنت في هذا أُردد مقولة بعض القدماء: "إنني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر".

ومن هنا جاءت هذه الطبعة الجديدة، التي تتحقق فيها الأمور الآتية:

- شرح مفردات الأبيات الشعرية الواردة بالكتاب، مما يعين على فهم الظاهرة الأسلوبية. وقد يُلجأ أحيانًا إلى بيان الدلالة العامة للبيت، إذا كان بيانها يسهم في إدراك هذه الظاهرة.
- ضبط الأبيات ضبطا صحيحا، وتصويب الأخطاء الواردة في الكثير منها، وقد تمتد هذه الأخطاء إلى ما قد يكون بالبيت من سقط.
- مراجعة مواضع الشواهد بالديوان، وتدقيق أرقام الصفحات.
- مراجعة نص الكتاب، والتعليق على بعض المصطلحات الواردة به.

ونرى أن هذا كله يُثري الكتاب ويضيف إليه ويخرجه في صورة جديدة، ونرجو أن يكون لها الأثر الطيب والقبول الحسن، وإن كان غير ذلك فحسبنا أن نكون بمنأى عن اللوم.

والله الموفق..

أ.د. فتح الله سليمان

سبتمبر ٢٠١٧